فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه مريب
قلت فرق عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك
لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فإن كنت في شك بمعنى الفرض
والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا
منه تقديرا فسئل الذين يقرءون الكتاب والمعنى أن الله عز وجل قدم
ذكر بني إسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن
أمر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه
ويبالغ في ذلك وقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من
خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع
إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق
فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك
وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن
غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى
رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق
من ربك أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك
هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء
المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج
والإلهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن
آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام

١٣٤

عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس
لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول
الله والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم
كقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه
الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفي أي فما كنت
في شك فسئل يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا
كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرءون
الكتب إن الذين حقت عليهم كلمت ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في
اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك
كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا
كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر
وأخلصت الإيمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما
أخر فرعون إلى أن أخذه الغرق فنفعها إيمانها بأن يقبله الله منها
لوقوعه في وقت الاختيار وفي قراءة أبي وعبد الله فهلا كانت إلا قوم
يونس استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع
بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة
في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس
وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن
الجرمي والكسائي روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول
العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس

Copyright © King Saud University